لما كانت مشتركة تقع على معان كثيرة توهم قوم ممن لم يكن لهم نصيب
بالقرآن ولا معرفة ثابتة باللسان انه اراد الضلال الذي هو ضد الهدى
فزعموا انه كان على مذهب قومه اربعين سنة وهذا خطأ فاحش
نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله تعالى لنبوته وارتضاه لرسالته
ولو لم يكن في القرآن العزيز ما يرد قولهم لكان فيما ورد من الاخبار
المتواترة ما يرد عليهم ذلك لانه قد روي انهم كانوا يسمونه في الجاهلية
الامين وكانوا يرضونه حكما لهم وعليهم وكانت عندهم اخبار كثيرة
يرددونها وانذار من اهل الكتاب ومن الكهان بانه يكون نبيا ولولا
ان كتابنا هذا ليس موضوعا لاقتصصناها فكيف والقرآن العزيز
قد كفانا هذا كله بقوله عز من قائل في سورة يوسف نحن نقص عليك احسن
القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين
فهذا نص جلي قد شرح ما في تلك الاية من الابهام وبين انه تعالى انما اراد
الضلال الذي هو الغفلة كما قال في موضع آخر لا يضل ربي ولا ينسى
اي لا يغفل وقال ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اي تغفلها
وتنسى وقالت الصوفية وجدك محبا في الهدى فهداك
فتأولوا الضلال ههنا بمعنى المحبة وهذا قول حسن جدا وله شاهد من
القرآن واللغة اما شاهده من القرآن فاحكاه الله تعالى من قول
اخوة يوسف لابيهم تالله انك لفي ضلالك القديم انما ارادوا بالضلال
هنا افراط محبتك في يوسف صلى الله عليه وسلم واما شاهده من اللغة
فانه جائز في مذاهب العرب ان تسمي المحبة ضلالا لان افراط المحبة تشغل
المحب عن كل غرض وتحمله على النسيان والاغفال لكل واجب مفترض

نجز الجزء

فسميت المحبة ضلالا اذ كانت سبب الضلال على مذاهبهم في تسمية الشيء
باسم غيره اذا كان منه بسبب ومن هذا الباب قوله تعالى في سورة نوح
عليه السلام ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى والاجل قد علمنا انه لا تاخير فيه وقد بين
ذلك في قوله في عقب الاية ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال في موضع
آخر فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فوجب ان
ينظر في معنى هذا التاخير ما هو ثم وجدنا هذه الاية المبهمة المجملة
قد شرحتها اية واضحة مفصلة كفتنا التاويل ولم نحوجنا الى طلب
الدليل وهي قوله تعالى في اول سورة هود ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى فدلت هذه الاية على
انه انما اراد بتاخير الاجل التمتع الحسن لان التمتع الحسن يجمع فيه الغنى والسلامة
من الافات والعز والذكر الحسن والعرب تسمي هذه الاشياء كلها زيادة
في العمر وتسمي اضدادها وخلافها نقصانا من العمر وقد جاء في بعض الحديث
ان موسى عليه السلام شكى الى الله تعالى لعدو له فاوحى الله اليه اني سأميته
فلما كان بعد زمن راه ينسج الحصير فقال يا رب الم تعدني ان تميته فقال
اوليس قد افقرته وقد نبهنا على هذا الموضع اذ نذكر على كم معنى
يتصرف الموت والحياة في اللسان العربي ليتبين ما ذكرناه بشواهد حتى لا
يبقى فيه لطاعن مطعن بحول الله تعالى اعلم ان الحياة والموت
لفظتان مشتركتان تستعملان في اللغة العربية على ثلاثة عشر وجها
احدها الوجود والعدم والثاني مقارنة النفس الحيوانية للاجسام ومفارقتها اياها والثالث العز والذل والرابع الغنى والفقر والخامس